الفلسطينية، ولا بفعل المؤسسات الاستيطانية الأخرى في الهيمنة على اقتصاد البلد، بحيث لم يبق فيها متسعاً لأهلها الأصليين. وإنما كان بالطرد بالعنف الفاشي المسلح الذي مارسته الآلة العسكرية الصهيونية على الشعب الفلسطيني.

وإزاء فشل المؤسسات الاستيطانية في العمل الصهيوني، عمدت قيادته إلى التركيز على دور الآلة العسكرية، وبالتالي، على الشق الامبريالي من المشروع برمته، تعويضاً لهذا الفشل؛ مما أدّى بالضرورة إلى عسكرة اسرائيل، وجعل الشق اليهودي منها يعتمد في بقائه على انجازات الآلة العسكرية، أي على تنامي الدور الامبريالي للمشروع الصهيوني. وباعتمادها هذا النهج، أدخلت القيادة الصهيونية مشروعها في حلقة مفرغة من العسكرة؛ إذ كلما قصرت المؤسسات الاستيطانية في أداء دورها، جاءت الآلة العسكرية لتعوض عن ذلك التقصير. وهكذا صادرت تلك الآلة دور المؤسسات الاستيطانية، واضطلعت بالمهمة المزدوجة:

(أ) حماية الاستيطان وتوسيع رقعته والاسهام في بنائه، أي «تأمين القاعدة»، سواء للاستيطان أو لآلة العدوان.

(ب) الدور الامبريالي في التصدي لحركة الجماهير وضربها، من أجل تطويعها لإملاءات «المشروع الامبريالي الأم».

ونتيجة لهذا الدور الهام الذي اضطلعت به الآلة العسكرية الصهيونية، فقد نمت وتطورت بشكل لا يتوازى مع بقية مؤسسات الكيان؛ مما جعله أشبه بثكنة عسكرية منه بدولة عادية. وكان لا بد أن ينعكس ذلك في مفهوم القيادة الصهيونية لأمن كيانها على الصعيد الاستراتيجي. وهذا الكيان، كما ورد أعلاه، تربط شقيه: الاستيطاني والامبريالي، علاقة عضوية، انعكست، بطبيعة الحال، كعلاقة عضوية تربط «المشروع الصهيوني الابن» بـ «المشروع الامبريالي الأم». وقيادة العمل الصهيوني، التي وعت أبعاد مشروعها الاستيطاني، منذ البداية، قد ربطت الشق اليهودي منه، الرامي إلى بناء دولة يهودية، بالشق الامبريالي، المتمثل في بناء الآلة العسكرية الصهيونية وتسخيرها لتنفيذ استراتيجية المشروع الأم، التي في أعلى سلم أولوياتها التصدي لحركة الجماهير العربية وضربها واحباطها. وهكذا تشكلت العلاقة الجدلية بين شقي المشروع الصهيوني ــ الاستيطاني والعدواني: الأول في فلسطين، والثاني في العالم العربي. أما في فلسطين، فقد تركز العمل الصهيوني على تأمين القاعدة، سواء للاستيطان أو للعدوان، مما ترتب عليه تهويد فلسطين وتغييب شعبها؛ وهو ما أخفق المشروع الصهيوني في تحقيقه، حتى الآن. وأما في العالم العربي، فقد توجه النشاط الصهيوني إلى الإسهام في تطويع حركة الجماهير العربية لإملاءات المشروع الامبريالي الأم، وهو الدور الذي لم يستكمل بعد. وعلى هذين المبدأين قامت العقيدة الأمنية للكيان الصهيوني، خاصة على صعيد الاستراتيجية العليا المتعلقة باقامته ومبرر وجوده. فمن جهة، هناك ضرورة ضمان «أمن القاعدة»، وهو الأمن الذي لن يستتب إلاّ بتهويد فلسطين كلها وتصفية قضية شعبها، ومن الجهة الأخرى، هناك «أمن مبرر البقاء»، الذي يعتمد على النجاح في الأداء والقيام بالدور الموكل إليه، وهو الأمن الذي لا يستتب دون التحكم بالمسارات السياسية لحركة الجماهير العربية.

وواضح أن المشروع الصهيوني قد طرح على هامش المشاريع الامبريالية الكبرى،